



التاريخ: الأربعاء 2016/5/18م

رسالة القدس

نشرة يومية لأخبار مدينة القدس

تصدر عن اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم

- هدم منزل شمال القدس المحتلة لصالح شارع استيطاني.
- اعتقال أسيرين محررين من القدس.
- الاحتلال يعتقل 6 مواطنين من القدس.
- وفد برلماني من زمبابوي يطلع على حقيقة الأوضاع في القدس.
- الاحتلال يهدم منزلين بحي الصوانة في القدس.
- تشييع جثمانى شهيدين في القدس بشروط.
- ادعيس يؤكد ضرورة وضع برنامج عملي لدعم القدس والمقدسات.
- دراسة: شذرات من قصة نكبة الكتب والوثائق والمخطوطات الفلسطينية في القدس عام 1948.



هدم منزل شمال القدس المحتلة لصالح شارع استيطاني

لقدس 17-5-2016 وفا- هدمت جرافات تابعة لبلدية الاحتلال في القدس، في ساعة مبكرة من صباح اليوم الاربعاء، منزلاً مأهولاً يعود للمواطن راجح الهوارين الصبار بقرية شعفاط شمال القدس المحتلة، بحجة البناء غير المرخص، ولصالح شارع استيطاني. وكانت قوات كبيرة ومعززة من جنود الاحتلال ضربت طوقا عسكريا محكما على محيط المنطقة، ومنعت المواطنين من الاقتراب من لمنزل قبل بدء عملية الهدم. وكانت بلدية الاحتلال أخطرت صاحب المنزل القائم منذ عام 2001 وكان يقطنه 7 أفراد ومساحته نحو 150 متراً مربعاً، بنيتها هدمه لصالح توسعة شارع استيطاني وربط مستوطنة رامات شلومو بمستوطنة بسجات زئيف، علماً أن صاحبه حاول استصدار رخصة بناء دون جدوى.

اعتقال أسيرين محررين من القدس

القدس 18-5-2016 وفا- اعتقلت قوات الاحتلال الاسرائيلي، فجر اليوم الاربعاء، الأسير المحرر حذيفة بدر بعد دهم منزله بوحشية في بلدة أبو ديس جنوب شرق القدس المحتلة. ونقل مراسلنا عن شهود عيان قولهم، أن قوات الاحتلال اقتحمت البلدة وداهمت منزل المحرر بدر بصورة وحشية وشرعت بعمليات تفتيش وتخريب داخل المنزل، قبل اعتقاله ونقله لجهة غير معلومة. واستهدفت قوات الاحتلال خلال اقتحامها للبلدة سيارة مواطن بقنبلة غاز خلال وحطمت زجاجها. كما اعتقلت قوات الاحتلال الأسير المحرر عبد عز بربر بعد اقتحام منزله بحي رأس العامود في بلدة سلوان جنوب المسجد الأقصى المبارك، واقتادته الى أحد مراكز الاعتقال في القدس للتحقيق.

الاحتلال يعتقل 6 مواطنين من القدس

القدس 17-5-2016 وفا- اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي فجر يوم أمس الثلاثاء، أربعة مواطنين من بلدة العيسوية وسط القدس المحتلة، واقتادتهم الى أحد مراكز الاعتقال في المدينة للتحقيق معهم.



وأوضح المحامي محمد محمود أن قوات الاحتلال اعتقلت كلا من: معاذ عبيد (18 عاماً)، وباسم محيسن (17 عاماً)، ومحمد جمال محمود (18 عاماً)، وفارس داري (18 عاماً). وكانت قوات الاحتلال اعتقلت مساء أمس الاثنين كلا من: عمار أبو عصب (18 عاماً)، ومأمون الزغير.

كما اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي، ظهر أمس، شابا من أحد المخابز قرب حاجز مخيم شعفاط العسكري، وسط القدس المحتلة. وقال شهود عيان لمراسلنا إن قوات الاحتلال اعتقلت الشاب بعد مدهمة المخبز، واقتادته إلى الحاجز العسكري دون معرفة مصيره أو هويته وسبب اعتقاله.

وفد برلماني من زبابوي يطلع على حقيقة الأوضاع في القدس

القدس 17-5-2016 وفا- زار وفد برلماني من جمهورية زبابوي، برئاسة هون كايندس بارازادا، يوم أمس الثلاثاء، مدينة القدس، والتقى نائب المحافظ عبد الله صيام، للاطلاع على حقيقة الأوضاع في المدينة المقدسة، ومعاناة أبنائها في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

وأشار صيام إلى أهمية الدعم الإفريقي للقضية الفلسطينية، محذرا من التغلغل الإسرائيلي في القارة الإفريقية والذي يأتي على حساب الحقوق الوطنية الفلسطينية، داعيا إلى مزيد من الدعم لعملية التحرر الفلسطيني والعمل على ممارسة الضغوط على الحكومة الإسرائيلية لوقف انتهاكاتها للأرض والإنسان والمقدسات في دولة فلسطين، وعلى وجه الخصوص المقدسات الإسلامية والمسيحية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك الذي بات يتعرض لانتهاكات سافرة بشكل يومي.

واستعرض صيام الإجراءات والأنظمة الإسرائيلية للسيطرة على مدينة القدس وتهويدها، مؤكدا رفض الشعب الفلسطيني وقيادته لجميع هذه الإجراءات الباطلة من أساسها، والتصدي لها بكل قوة، مشيرا إلى الصدامات اليومية في المسجد الأقصى ومحيطه تصديا لاقتحامات المستوطنين المتطرفين لساحاته.



وقدم نائب المحافظ شرحا موسعا بالأرقام والمعطيات عن آليات الاستيطان الإسرائيلي، في إشارة واضحة الى التركيز على مدينة القدس ومحيطها، والعقبات التي تضعها سلطات الاحتلال بوجه عملية التنمية التي يحاول الفلسطينيون القيام بها، خاصة في المناطق المصنفة "ج" والتي تشكل ما نسبته 60 بالمئة من أراضي الضفة الغربية، كمقدمة لمواصلة السيطرة عليها لصالح الاستيطان ومحاصرة المدينة المقدسة وعزلها عن محيطها الفلسطيني والعربي والدولي، مبينا أن القدس تشكل الحلقة الأكبر في معاناة الشعب الفلسطيني على مدار عقود الاحتلال الطويلة.

الاحتلال يهدم منزلين بحي الصوانة في القدس

القدس 17-5-2016 وفا- هدمت جرافات تابعة لبلدية الاحتلال الإسرائيلي في القدس، اليوم الثلاثاء، منزلين يعودان لعائلة طوطح المقدسية في حي الصوانة/ واد الجوز قرب سور القدس التاريخي، بحجة البناء غير المرخص.

وكانت قوات كبيرة ومعززة من جنود الاحتلال ضربت طوقا عسكريا محكما على المنطقة فجرا، وطلبت من سكان المنزلين إخلاءهما قبل أن تقوم الآليات التابعة للبلدية العبرية بهدمهما.

تشيع جثمانى شهيدى فى القدس بشروط

القدس 17-5-2016 وفا- شيع عشرات المواطنين فجر يوم أمس الثلاثاء، جثمانى الشهيدى فدوى أبو طير (51 عاما)، ومعتز عويسات (16 عاما) إلى مثواهما الأخير فى مقبرتى قرية "أم طوبا" وجبل المكبر جنوب مدينة القدس المحتلة، ولكن بشروط.

وأفاد مراسلانا، بأن عائلة الشهيدة أبو طير تسلمت جثمانها بعد نحو شهرين من الاحتجاز فى ثلاثيات الاحتلال، منذ إعدامها فى آذار الماضى بالبلدة القديمة فى القدس المحتلة، بزعم الاشتباه بتنفيذ طعن.

وقال نجل الشهيدة "إن الاحتلال لم يكتف بجرىمة إعدام والدته، لمجرد الاشتباه بها، حيث أطلق جنوده الرصاص صوبها، وبقيت تنزف حتى استشهدت.



وأشار إلى أن نحو ثمانين شخصا شاركوا في تشييع جثمان والدته، بعد استلامها، والصلاة عليها في مسجد قرية "أم طوبا"، إلى أن دفنت وسط تواجد عسكري إسرائيلي مكثف، مشيرا الى أن شروط الاحتلال شملت: تحديد عدد المشيعين، ودفع كفالة مالية بقيمة 20 ألف شيقل، والدفن فجراً، ومنع التصوير.

وفي السياق، شيع مواطنون فجرا جثمان الشهيد معزز عويسات (16 عاما)، إلى مثواه الأخير في مقبرة جبل المكبر جنوب القدس.

وسلمت سلطات الاحتلال الشهيد عقب تسليم الشهيدة أبو طير، بعد احتجاز دام أكثر من 7 أشهر في ثلاجات الاحتلال، بعد إعدامه قرب مستوطنة "ارمون هنتسيف" المقامة على أراضي جبل المكبر، بزعم محاولة تنفيذ طعن.

وماطلت سلطات الاحتلال بتسليم جثمانه، وأجبرت عائلته على الانتظار ساعات طويلة، حتى سلمته، وذلك بعد تفريق تجمع الشبان وأهالي البلدة مقابل المقبرة عدة مرات.

وقالت مراسلتنا إن جثمان الشهيد عويسات دفن بمشاركة 45 شخصا، وسط تواجد لضباط وقوات الاحتلال، التي انتشرت بشكل مكثف في المقبرة ومحيطها، إلى جانب ضباط المخابرات الاسرائيلية. من جانبه، قال محامي مؤسسة الضمير محمد محمود "إن دفن الجثمانين بعد احتجاز دام أشهر، والذي تم دون أحداث تذكر، سيساعد في استمرارية تسليم الجثمانين المحتجزه قبيل شهر رمضان الفضيل، وفق توصية المحكمة العليا الاسرائيلية".

وأشار الى أن احتجاز الجثمانين في ثلاجات الاحتلال كان له أثر على وضعية الجثمان، وحالته، ولكنهما دفنا في النهاية بشكل لائق.

ادعيس يؤكد ضرورة وضع برنامج عملي لدعم القدس والمقدسات

أسوان 16-5-2016 وفا- أكد وزير الأوقاف والشؤون الدينية الشيخ يوسف ادعيس أهمية القضية الفلسطينية وما تتعرض له المقدسات من انتهاكات إسرائيلية متتالية.



وقال ادعيس خلال مشاركته بفعاليات المؤتمر الـ26 للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في محافظة أسوان بجمهورية مصر العربية، تحت عنوان "دور المؤسسات الدينية في العالمين العربي والإسلامي في مواجهة التحديات: الواقع والمأمول، نقد ذاتي ورؤية موضوعية"، إن هذا المؤتمر يعتبر رسالة مهمة لتذكير المسلمين بواجبهم الديني والإنساني تجاه القدس ومقدساتها، مشيراً إلى أن المرحلة الآن تستدعي من جميع الدول الشقيقة مواصلة العمل ودعم حقوقنا في الحرية والاستقلال وحشد الدعم اللازم للمسجد الأقصى، لمواجهة الهجمة الإسرائيلية عليه.

وطالب ادعيس بضرورة الاهتمام بالجانب الديني والقانوني في التعامل مع مدينة القدس، من خلال التأكيد على حرية الدخول إلى الأماكن المقدسة، وحرية العبادة مشيراً إلى ما يتعرض له المؤمنون من محاولات منع لدخول مدينة القدس والصلاة في المسجد الأقصى، تحت حجج عنصرية مليئة بالكراهية والعنصرية.

وأكد أن جميع مشاريع التهويد الإسرائيلية لن تثنى الفلسطينيين عن مواصلة دفاعهم عن مقدساتهم، ولن ترضخهم لسياسة الأمر الواقع، ومهما بلغت الهجمة الإسرائيلية الشرسة بحق القدس والأقصى الشريف وباقي المقدسات سنواصل الصمود حتى إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.

وطالب ادعيس القادة السياسيين بالضغط على الجهات الدولية لتحمل مسؤولياتها تجاه ما يحدث في فلسطين، معتبراً ما تقوم به إسرائيل هو مخطط إرهابي منظم مخالف لجميع القوانين والمواثيق والمعاهدات الدولية.

واستعرض ما يتعرض له المدينة المقدسة من مخاطر واعتداءات طالت حتى مقابرها وأسماء شوارعها، داعياً إلى العمل بشكل حثيث للمحافظة على إسلاميتها وعروبيتها، وذلك من خلال تشجيع وتكثيف الزيارات الدينية، من قبل مسلمي العالم الإسلامي، لها ولمساجدها التي تحاصر بشكل يومي من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي.



ودعا الحكومات العربية والإسلامية وأثرياء المسلمين في أنحاء العالم إلى إنشاء وقفيات إسلامية في مدينة القدس لدعم صمود المواطن الفلسطيني، في وجه الهجمة الإسرائيلية العنصرية التي تعمل ليل نهار لإخراجه منها وإبعاده عن حدودها.

وأشاد بجهود مصر الشقيقة ومؤسساتها الدينية في الدفاع عن المقدسات الإسلامية في مدينة القدس من خلال مواقفها للمدينة المقدسة ومؤسساتها وأهلها، لتمكينهم من الوقوف في وجه محاولات إسرائيل لتهويد مدينتهم.

وأكد أن هذا المؤتمر سيحقق بتوصياته المزيد من التشاور والتنسيق بين دول العالم الإسلامي، سعياً لإنجاز ما تصبو إليه الأمة المسلمة في ظل التحولات والمستجدات الدولية.

دراسة: شذرات من قصة نكبة الكتب والوثائق والمخطوطات الفلسطينية في القدس عام 1948

مشهور الحبّازي سرور / عميد كلية الآداب - جامعة القدس

تقديم

أدت الحرب التي شنتها العصابات الصهيونية بمساعدة دولية غربية على الشعب الفلسطيني، إلى قيام ما سمي دولة إسرائيل، على أنقاض الشعب الفلسطيني، الذي هُجّر من أرضه ومدنه وقراه من غير وجه حق، فبات سجيناً، فيما بقي له من مدن وقرى على أرضه، ومُشرّداً في مختلف بقاع الأرض.

روى الفلسطينيون مأساتهم منذ اللحظة الأولى في كل مكان وصلوا إليه، وعبر كل وسيلة استطاعوا استخدامها؛ رواها العامة في حكايات قصّوها، وحكوها لأطفالهم، وفي أغانٍ وأناشيد ومواويل صبغوها بصبغة حزن هديل الحمام، وفي أشعار شعرائهم، وقصص قصاصيهم، وروايات روائسيهم، وفي أبحاث علمائهم، وروايات تاريخية كتبها مؤرّخوهم، وفي رسوم ولوحات تشكيلية رسمها مبدعوهم من الفنانين، وفي مسرحيات وأفلام كتبها وأخرجها ومثلها مبدعون فلسطينيون في هذا المجال.

قليلون في هذا العالم أصغوا للرواية الفلسطينية، التي تحكي نكبة تفوق (هولوكوست) يهود أوروبا في كل مجالات الحياة، فما كان من الجيل المنكوب الأول إلا أن بحث عن صوت آخر يُسمع به ذلك



العالم الظالم أيناه، ويُريه مأساته ونكبته، إنه صوت المقاومة بالموجود، ولكن العالم أصمّ، وما يزال يصمّ آذانه عن سماع الحقّ الفلسطيني، ويُغمض عيونه عن رؤية واقعه الذي لا يسرُّ صديقاً. تحدّث عشرات آلاف المواطنين الفلسطينيين العاديين، ومئات بل آلاف الأطباء، والكتّاب، والشعراء، والأدباء، والمعلمين، وأساتذة الجامعات، والعلماء، والصيادلة، والأئمة، والرهبان وغيرهم، تحدّثوا جميعهم عن عزيز فقدوه افتقادهم لأبنائهم، ولمنازلهم، ولأرضهم، ولكلّ ممتلكاتهم، تحدّثوا عن كتبهم، ووثائقهم، ومكتباتهم التي اقتنوها بثمان لقمّة خبز أبنائهم، فلما أجبرهم رصاص عصابات الصهاينة، وقذائف مدافعهم على الرحيل، لم يستطيعوا حملها إلى حيث رحلوا، فأبقوها في أماكنها على أمل العودة القريبة، أو أودعوها أماكن عبادة لعلّها تكون رُقية تحميها، فلما أفاقوا من صدمة التشريد، ولم يجدوا كتبهم ومكتباتهم رثوا رثاء فلذات الأكباد.

عرف الصهاينة الحقيقة التي تحدّث فيها، وعنها هؤلاء الفلسطينيون طوال ستة عقود ونيّف، فكذبوهم، وأقنعوا العالم الغربي برأيهم، واستمرت القضية طيّ التكذيب إلى ما قبل عدة سنوات حين بدأ الإسرائيلي "غيش عميت" البحث ليكتب أطروحته لنيل درجة الدكتوراه حول سرقة الكتب الفلسطينية في عام النكبة. فجاء إسرائيلي آخر من أمستردام، وأخرج فيلماً حول الموضوع؛ عرض الفيلم مرّات، وكتب عنه الصحفيون، وتحدّث في موضوعه السياسيون، وطالب الفلسطينيون بحقوق ضائعة في ملكية كتبهم، ووثائقهم، ومكتباتهم كما حقوقهم كلّها، منذ وعد بلفور المشؤوم.

في هذه الورقة العلمية تناولت سرقة الكتب والمخطوطات في الأحياء العربيّة الواقعة في غربي القدس، عندما سقطت بيد العصابات الصهيونيّة عام 1948، معتمداً على المصادر العربيّة المطبوعة، ومصدر شفوي واحد فقط. ولم أعد لمصادر إسرائيليّة، ولا مصادر صحفية فلسطينية أو غيرها، وذلك لأنني وجدت الأمر خطيراً، وبحاجة إلى تدقيق، وتوثيق قد يمتد سنوات عديدة.

وعليه رأيت أن تكون هذه الورقة العلميّة ليست إلاّ ملامح من عملية السلب الثقافي، الذي مارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، وعاونها في ذلك كثيرون من الغرب من دون وجه حقّ، وهي ما تزال تمارسه حتى وقتنا هذا، من دون أن تلقى هذه الممارسة اليوم أي مقاومة تذكر، وعلى أي مستوى شعبيّ أو رسمي.



من قام بعملية السلب الثقافي الفلسطيني، أربعة أطراف عملت تحت هدف واحد، وهي جنود العصابات الصهيونية، وجيش إسرائيل، وأمناء وعاملو المكتبة الوطنية الجامعية (مكتبة الجامعة العبرية)، وعامة اليهود. كما أسهم في عملية السلب بسبب العدوان الصهيوني، الحرائق التي التهمت الآلاف وربما عشرات آلاف الكتب، ووقوع كتب وربما أجزاء كبيرة من مكتبات فريسة للعوامل الطبيعية من عثّ وأرضة ورطوبة وغيرها، وبيعت آلاف الكتب، والوثائق بأثمان بخسة من جهلة إلى من هم أكثر جهلاً؛ فاستخدموها وقوداً في أفرانهم، أو لوضع بعض المشتريات فيها.

عملية السلب الثقافي التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني في القدس عام 1948م، تمّت في معظمها بقرارات حكومية إسرائيلية، صدرت للجهات المختصة، للتصرّف بالمسروقات، التي هي كنز ثقافي فلسطيني، لم تكن إسرائيل تحلم به أبداً، فقد وجدت في ذلك الكنز أساساً أقامت عليه بنيان مكتبتها الوطنية رسمياً، كما فعل ذلك من سَمّوا أنفسهم علماء وأدباء ومحققين لكتب التراث، ومبدعين في مجالات العلوم المختلفة.

كانت المسروقات والمنهوبات الثقافية الفلسطينية كثيرة، فقد شملت مكتبات كاملة لعائلات، وأدباء فلسطينيين، وهيئات فلسطينية عامة، ومدارس، وكليات، ومساجد، وكنائس، وغيرها، فضلاً عن مقتنيات من الكتب المتنوعة، التي كانت تملكها كل أسرة فلسطينية في منزلها، الذي أُجبرت على هجرانه قسراً.

سجّلت المكتبة الوطنية الإسرائيلية آلافاً كثيرة، ربما نهبتة تحت عبارة "ممتلكات متروكة" أو "القيم على أملاك الغائبين"، فيما قام بعض أمناء المكتبة والعاملين فيها ببيع ما استطاعوا من كتب في مزادات، وأتلفوا قسماً ثانياً، ودفنوا قسماً ثالثاً في أرشيف مكتباتهم الخاصة، ولم يسجلوه بهذا الاسم أو ذلك. وبعد خمسين عاماً مضت على السرقة، تمّ إزالة هذه العبارة عن أكثر الكتب، وصنّفت من جديد، وأدرجت في المكتبة، فقطعت العلاقة بين هذه الكتب والمكان الذي سرقت منه نهائياً، كما أن هذه المكتبة ما زالت تتلقى رسمياً كتباً ووثائق فلسطينية يسرقها جنود الاحتلال، والمستوطنون من الفلسطينيين في أثناء الاعتداءات أو ما يسمونه أعمال التفتيش، أو عمليات الاعتقال المستمرة منذ عام 1948 وحتى الآن.



الكتب التي سرقها إسرائيل من فلسطيني الأحياء العربية في القدس الغربية، توزعت على فروع المعرفة المختلفة، وأهمها الآداب والتاريخ والعلوم الشرعية، والمصاحف وكتب الحديث النبوي، والفلسفة والقانون، والطب والفلك والهندسة والصيدلة وغيرها، فضلاً عن الوثائق الرسمية والخاصة، والخرائط، والقطع الأثرية المتنوعة. ويضاف إلى ذلك دراسات وأبحاث لعلماء فلسطينيين كانت قيد الإعداد، وكتب تراث كانت قيد التحقيق، فربما قام هؤلاء اللصوص بإخراجها بأسمائهم، فنالوا عليها درجات علمية، وألقاباً أكاديمية، ومناصب، ووظائف رسمية.

وقد تناولت هذه الورقة العلمية، الحديث عن عملية السلب الثقافي التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني، وبخاصة سرقة الكتب والوثائق والمكتبات الفلسطينية في أحياء مدينة القدس الشريف الغربية، التي احتلتها العصابات الصهيونية عام 1948، وهجرت أصحابها منها قسراً، على النحو الآتي:

أولاً- مكتبات العلماء والعامّة

تعرّضت مكتبات مئات بل أكثر من علماء، وأدباء فلسطين المقدسيين، التي بنوها بشق الأنفس، وعلى مدى سنوات العمر، للسرقة والنهب، وكذلك مكتبات آلاف بل عشرات الآلاف من مكتبات عامة الناس في القدس، للسرقة والنهب، وأهم مكتبات الأفراد من العلماء والأدباء التي سُرقَت هي:

1- مكتبة أحمد سامح الخالدي وزوجه عنبرة

كان أحمد سامح الخالدي مديراً للكلية العربية، أكثر من عشرين سنة، وعمل في المعارف، مدة طويلة، وقد حرص على تثقيف نفسه في مجال التربية وعلم النفس؛ فحصل على درجة الماجستير في التربية، وألّف وترجم عدّة مؤلفات في التربية وعلم النفس، كما أنجز مؤلفات عديدة في تاريخ فلسطين، والعرب والمسلمين، وكان يحبّ القراءة، واقتناء الكتب، ولا شك في أنه تمكّن من تكوين مكتبة غنيّة في مختلف فروع المعرفة، وبخاصة في التربية والتاريخ والآداب، فضلاً عمّا يكون ورثه من مكتبات أفراد عائلة الخالدي المعروفة بتوارث العلم واقتناء الكتب، والتأليف في فروع العلم المختلفة.



في عام 1948م احتلت العصابات الصهيونية الأحياء الغربية الجديدة من بيت المقدس، ومنها حي الطالبية في جبل المكبر الذي كانت تقوم عليه الكلية العربية، التي كان يقيم في منزل مجاور لها مديرها أحمد سامح الخالدي. وقد ذكر ابنه وليد أنه نقل مكتبته من القدس إلى بيروت، وبقيت في بيروت إلى وفاته، حيث تقاسمها أولاده فيما بينهم من بعده.

هنا نلاحظ أن وليد الخالدي، لم يشر إلى كيفية نقل والده مقتنيات مكتبته من القدس إلى بيروت، وهل نقلها كلها، أم معظمها، أم أهمها؟ وهل ترك شيئاً منها في منزله، وبخاصة المجلات، والجرائد، والمخطوطات، وكتب مما كان ينشغل بتأليفه، وهل ظروف الحرب يمكن أن تسمح لإنسان الاهتمام بنقل مكتبة مثل مكتبة أحمد سامح الخالدي؟! وبخاصة أنه هاجر إلى بيروت، ولم ينتقل إلى الأحياء الشرقية التي بقيت بيد الحكم العربي الأردني، وبالتالي يكون تمكنه من نقل مكتبته، كما تمكن أبو أحمد هرماس من مدينة حلحول قرب الخليل، الموظف في مكتب المعارف البريطاني من نقل كثير من كتب مكتبة الكلية العربية، بعد أن هدأت الحرب إلى مكتبة المدرسة الرشيدية.

كما علينا ملاحظة قول وليد الخالدي نفسه، وفي الصفحة ذاتها عن مكتبات عدد من أسرة الخالدي، وآلاف المواطنين العرب في أحياء القدس الغربية حيث قال: "إن إسرائيل احتلت الأحياء الغربية في نيسان وأيار 1948م ما أدى إلى ضياع معظم كتب الأسرة المقيمة في القدس، وهو ما حصل لآلاف العرب المقدسين، حيث ضاعت هي الأخرى في القدس".

ويعزز ما أذهب إليه قول خيرية فاسمية في ترجمتها لعبرة سلام الخالدي "وأنت الهجرة من القدس (1948م) لتقضي على البقية مما كانت تحتفظ به من أوراق شخصية مدّة عشرين عاماً، قضتها في فلسطين". حيث كانت تزوجت من أحمد سامح الخالدي في بيروت، ثم انتقلت للسكن معه في القدس عام 1929م، واستمرت إلى النكبة.

بناءً على ما سبق، فإنني أكاد أقطع بأن جزءاً من مقتنيات مكتبة أحمد سامح الخالدي، نُهبت كما نُهبت ممتلكات فلسطينية كثيرة، وبخاصة أن فرقاً إسرائيلية خاصة، كانت شكلت لنهب الكتب من منازل، ومدارس، ومساجد، وكنائس، ومؤسسات العرب الفلسطينيين عند احتلالها.

2- مكتبة إسحق موسى الحسيني



كان إسحق موسى الحسيني أديباً، وروائياً، ومحققاً، ومرتبياً، وقبل النكبة كان أسس في بيته بالقدس مكتبة غنية بأمهات الكتب الأدبية، والتاريخية، واللغوية، والإسلامية، فضلاً عن مؤلفاته العديدة. وبلغ عدد مقتنياتها ما يزيد على الأربعة آلاف مجلد، من بينها كتب عُرضت في معرض الكتاب العربي الفلسطيني الأول، الذي أقامته في المدة ما بين (11-20) تشرين الأول سنة 1946م، لجنة الثقافة العربية في فلسطين، في نادي الاتحاد الأرثوذكسي العربي بالقدس، وكان إسحق موسى الحسيني سكرتير اللجنة. وقد أعدت اللجنة فهرساً للكتب المعروضة، بلغ عددها أكثر من (800) كتاب بالعربية فضلاً عن كتب كثيرة بلغات أخرى.

وفي تقديمه للفهرس، عبّر إسحق موسى الحسيني عن أمل اللجنة، بإنشاء دار كتب عربية مركزية بالقدس تقوم بجمع شتات التراث العربي الإسلامي في فلسطين. وقد احترقت هذه المكتبة في العدوان الصهيوني على الأحياء الفلسطينية في القدس سنة 1948م.

3- مكتبة إسعاف النشاشيبي

ولد إسعاف في بيت المقدس لأسرة ثرية ثراءً امتدّ قرونًا، وتعود بداية ثراء الأسرة إلى القرن الثامن الهجري، ونشأ وتعلّم في بيت المقدس، ثم أكمل المرحلة الابتدائية في دار الحكمة ببيروت. وبالرغم من عدم تكميل تحصيله العلمي إلا أنّ تتلمذه على الشيخ عبدالله البستاني في دار الكلمة طبعه بطابعه اللغوي، فأصبح من أشدّ علماء العصر رعاية للعربية، وعُرف بأديب العربية، ومعجم لسان العرب المتحرّك، وتكنّى بأبي الفضل لولعه ببديع الزمان الهمذاني (ت398هـ) مبدع فن المقامة.

أثرى إسعاف المكتبة العربية بأكثر من أحد عشر كتاباً في اللغة والفكر والتاريخ، والفكر الإسلامي، ومئات المقالات اللغوية والثقافية.

كان من نتائج العدوان الصهيوني على الأحياء العربية في القدس، ومنها حي وادي الجوز، حيث كان يقع منزل الأديب والمربي إسعاف النشاشيبي، حدوث فوضى عارمة، تمكّن خلالها بعض الجهلة، ممّن لا خلاق لهم، من نهب ما استطاعت أيديهم الوصول إليه، وبيعه بأبخس الأثمان لأيّ مشترٍ. وفي هذا الشأن تمكّن بعض هؤلاء من نهب وسلب جزء من مقتنيات مكتبة الأديب إسعاف النشاشيبي، وبيعها، قال يعقوب العودات في ذلك عن مصير مكتبة النشاشيبي وما شاهده بأمر عينه:



"مكتبة لا تشبهها مكتبة... أطبق عليها مَنْ لا خلاق لهم في نكبة (1948م)، عندما اجتاح بعض المرتزقة أحياء القدس العربيّة زعمًا منهم أنّها أحياء يهوديّة، فنهبوا مكتبة إسعاف، وحملوها إلى مدينة الزرقاء بالأردن، وباعوها على مشهد منّي (أي يعقوب العودات صاحب كتاب: من أعلام الفكر) بالرّطل لأصحاب الأفران، فذهبت طعمة للنيران".

4- مكتبة توفيق كنعان

كانَ توفيق كنعان طبيباً فلسطينياً بارعاً، أسهم في تخفيف الويلات، التي كانت تنهال انهياراً على الشعب الفلسطيني في النصف الأول من القرن العشرين الماضي، ولم يكتف بذلك بل نحا منحى لم يكن يخطر ببال طبيب غير توفيق، ألا وهو دراسة التراث الفلسطيني التقليدي، والآثار، والمزارات، والأولياء في فلسطين. وأتقن عدّة لغات منها الألمانية، والإنجليزية فضلاً عن العربيّة.

تزوَّج توفيق كنعان من الألمانية مارغوت أيلندر سنة 1912م بالقدس، التي كانت ابنة مستورد ألمانيّ كبير وكان يقيم بالقدس مدداً متفاوتة، وقد أهدى العروسين قطعة أرض في منطقة المصراة، فأقاما عليها بيتهما الخاص سنة 1913م.

في هذا البيت الكائن في حيّ المصراة وهو أحد أقرب الأحياء الحديثة إلى البلدة القديمة، تمكّن توفيق كنعان من فتح عيادة طبيّة لمعالجة المواطنين المقدسيين، فكانت العيادة العربية الوحيدة في المدينة كلّها إلى جانب ثلاث عيادات لأطباء غير عرب ينتمون إلى أرمينيا وإيطاليا وبريطانيا. كما تمكن من إنشاء مكتبة أثارها بآلاف الكتب القيمة، ومتنوّعة المعارف، ويظهر تنوّع معارفها من خلال تنوّع مؤلّفات توفيق كنعان نفسه.

هذه المكتبة القيمة تعرّضت للنهب والسلب تحت بصر صاحبها، وأسرته، الذين كانوا يُشاهدون للصوص اليهود يستولون عليها، ويذهبون بها بعيداً إلى حيث لا يعرفون.

ففي 22 شباط 1948م، ازداد انهيار قذائف مدافع الهاون، والرصاص على منازل المواطنين المقدسيين العرب في حيّ المصراة، ومنها منزل توفيق كنعان، الذي لم يمض على بنائه إلا ثلاثة عقود ونصف، وفي نهاية شهر شباط اضطر توفيق كنعان، وأسرته للهرب من منزلهم حفاظاً على أنفسهم، من قذائف العدو ورصاصه. وذلك بعد أن تمكّن توفيق كنعان من نقل مجموعة حجه،



و(250) أيقونة من منزله إلى منظمة دوليّة في القدس، لحمايتها. لكنّه على الأرجح اضطر للرحيل قبل أن ينقل مكتبته حيث أصيب البيت إصابة مباشرة في التاسع من شهر أيار سنة 1948م، فغادر البيت بحقيبة صغيرة، وضع فيها ثياباً لكلّ أفراد أسرته. ودخل المدينة القديمة ليلاً، بترتيب مسبق مع بطريكية اللاتين عبر باب صغير، يؤدي إلى سطح دير اللاتين.

منح بطريك الروم الأرثوذكس عائلة توفيق كنعان غرفة للعيش فيها، لعلّه يعود إلى بيته في المصراة قريباً، لكنّه مكث في هذه الغرفة عامين ونصف.

وتصف ابنة توفيق كنعان حياة والدها، ووالدتها أوّل أيام سُكناهما في هذه الغرفة، فتقول السيّدّة ليلي منطورة: "يوماً كانّ أبي وأمي يذهبان إلى سور القدس، يرقبان بيتهما، ويشهدانه يُنهَب يوماً بعد يوم، المكتبة الثمينة الرائعة، التي كانت أمي ترعاها بكثير من الفخر وقليل من الغيرة؛ مخطوطاته التي كانت تراجعها، أثاثها الفاخر، كانت تُحمّل في شاحنات تذهب بها بعيداً... وأخيراً شهدا إحراق البيت، كانّ ذلك واحداً من أقسى ما عاناه أبي وأمي، ولا أعتقد أنهما كانا قادرين على نسيانه".

وبذلك فقد توفيق كنعان بيته ومكتبته، التي كانّ فيها ثلاث مخطوطات من مؤلفاته التي كانّ قد أعدّها للنشر. وقد أخبرت السيّدّة ليلي منطورة السيّد خالد الناشف مدير معهد الآثار في جامعة بيرزيت سنة 1995م أنّها رأت بعض كتب أبيها في مكتبة الجامعة العربيّة بالقدس المحتلة.

5- مكتبة الشيخ حسام الدين جار الله

ولد الشيخ حسام الدين في القدس في العشر الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، وتعلم فيها ثم سافر إلى القاهرة فدرس في الأزهر الشريف، وسمع دروس الإمام محمد عبده، وبعد أن حصل على إجازة الأزهر عاد إلى القدس وعمل فيها، وفي سنة 1926 عُيّن ناظراً للعدلية (وزيراً) وقاضياً للقضاة في حكومة حسن خالد أبو الهدى في إمارة شرق الأردن. ثم عمل في المجلس الإسلامي الأعلى إلى أن توفي سنة 1954 في القدس.

استطاع الشيخ حسام الدين جار الله أن يكوّن مكتبة عامرة، ضمت حوالي ألفي كتاب مطبوع ومخطوط في العلوم الإسلامية، واللغة العربية وآدابها، ومنها مخطوطة نادرة للقرآن الكريم، كانت مجلدة بجلد غزال، وكانت مكتبة الشيخ حسام الدين محفوظة في عدة خزائن. وفي حرب عام



1948 قامت العصابات الصهيونية بسرقة مقتنيات هذه المكتبة القيّمة بما فيها مخطوطة القرآن

الكريم المذكورة. (12)

6- مكتبة خليل بيدس

ولد خليل بيدس في الناصرة، ونشأ وتعلم في مدارسها، وطاف بلاد الشام معلماً، وأسس مجلة النفائس في حيفا، ثم النفائس العصرية في القدس، فلاقت رواجاً عظيماً في مصر والشام. أنشأ خليل بيدس في بيته بحي البقعة الفوقا مكتبة قيمة ضمت مخطوطات قديمة العهد، وكتباً ثمينة، فضلاً عن مؤلفاته التي زادت على الخمسة والثلاثين مؤلفاً في الأدب واللغة والتاريخ، والترجمة، والتربية، والآثار. وعن مجلة النفائس العصرية، ومقالاته الكثيرة والمتنوعة التي نشرها في صحف ومجلات عربية وأميركية.

حاول خليل بيدس البقاء في منزله بحي البقعة الفوقا عندما بدأت العصابات الصهيونية حربها على الأحياء العربية في غربي القدس، لكنه لما سمع بفظائعها ضد المواطنين العرب هرب من بيته وهو شيخ كبير مشياً على الأقدام فأنقذه أهل سلوان وهو مغمى عليه. وقد سرق اليهود مكتبته الثمينة بكل محتوياتها، ومنها معجم عربي كبير كان مخطوطاً وقد أعده للطبع.

يقول يعقوب العودات في ذلك: "وفي بيت المقدس أسس خليل مكتبة فريدة حوت مخطوطات قديمة العهد، وكتباً ثمينة، لكنه أرغم على تركها في منزله بالقدس لتأخذها العصابات الصهيونية غنيمة باردة عندما اغتصبت فلسطين العربية في أيار 1948". (13)

ويتابع سرد قصة مكتبة بيدس عندما يذكر مؤلفاته فيقول: "معجم عربي كبير بقي مخطوطاً، ووقعت النكبة الأولى سنة 1948، فسرقه اليهود مع كافة كتبه، ومخطوطاته، ومؤلفاته، ومنها مجلته الشهيرة (النفائس العصرية)، وحديث السجون، ومقالاته في الأهرام، والمقطم، وصحف مصرية، وأميركية". (14)

7- مكتبة خليل السكاكيني

وُلد خليل السكاكيني في بيت المقدس سنة 1878م، وتعلّم في مدارسها، وبرع في مجالات عديدة لكنه رأى في التعليم رسالة سامية، فانخرط في سلكه معلماً، ومرتبياً وأنشأ المدرسة الدستورية بالقدس.



وألف عديداً من الكتب التعليميّة، كما نشط في المجالات الاجتماعية والفكرية والثقافية. وقد استطاع خلال حياته جمع كثير من الكتب التي تلي رغبته العلميّة المتنوّعة المنازع، وأقام مكتبة في منزله؛ كانت غنيّة بأصناف من كتب التربيّة والتاريخ والأدب والسياسة وغيرها. (15)

سكن خليل في حي القطمون بالقدس الغربيّة، وكان منزله وسط الحيّ، فكانت بيوت الحيّ تحيطه، وكانها سور حصين له. وقد دخل السنة السبعين من عمره يوم الجمعة 1948/1/23م وحيّه محاصر، ويتعرّض للقصف من العصابات الصهيونيّة، حيث كانّ الحيّ منعزلاً عن بقية الأحياء العربيّة، وكانه جزيرة مالطة - على حدّ قول السكاكيني نفسه-، وكانّ أفراد العصابات الصهيونيّة يتسلّلون إليه للتدمير والنسف، كما فعلوا في الأسبوع الأول من السنة 1948م حيث نسفوا فندق سميراميس، فقتلوا عدداً كبيراً من النزلاء وأصحاب الفندق.

وعلى الرغم من قسوة الحياة تحت الحصار، واصل خليل السكاكيني العيش في بيته، ومع جيرانه وأصدقائه، وشارك في حراسة الحيّ، حتى في أشدّ اللحظات قسوة يوم 1948/3/30م حيث أصبح الحيّ مثل فوهة بركان تنطير منه الحمم، ويعلو اللهب، وينبعث الدخان. فبدأ الناس بالهجرة إلى المدينة القديمة أو بيت جالا أو عمّان أو مصر أو غيرها. ولم يبق إلا القليل، كانّ منهم خليل السكاكيني، لكنّه اضطر لمغادرة منزله يوم الجمعة 1948/4/30م الساعة السادسة صباحاً متوجّهاً إلى مصر. وذلك بعدما بلغت الحرب ذروتها، ليلة الخميس 1948/4/29م، فشعر وكان البيت سيسقط على رأسه وأسرته، وقد جاءه بطل معركة القطمون إبراهيم أبو دية الصوريّني (من قرية بيت صوريّني قرب الخليل). وقد أصيب بجراح، وأعلمه أن أكثر رجاله قد قُتلوا. (16)

عندما غادر خليل السكاكيني منزله في حيّ القطمون، كانّ قد حرص على أن يأخذ بعض أشيائه العزيزة عليه، التي لا يستغني عنها في رحلته، التي كانّ يأمل أن لا تطول، وممّا حرص على أخذه كاملاً كانّ "دفاتره وأوراقه"، لكنه نسيها جميعها في ظل انهيار الرصاص عليهم من كلّ جانب، حتى عندما تحرّكت السيارة، التي أقلّتهم من القدس إلى القاهرة في السادسة صباحاً. (17)



وقد ذكر خليل السكاكيني في كلمة ألقاها في النادي الأثوثوكسي في مصر الجديدة يوم الإثنين 1948/10/11م بعنوان "لئلا ننسى" أن مكتبته نُهب من قبل العصابات الصهيونية، وألقاها ثانية في النادي الشرقي بالقاهرة يوم الجمعة 1948/11/5م. جاء فيها:

حرصت أن آخذ دفاتري، وأوراقي لعلني أحتاج إليها، ولكن نسيت الجميع...
حرصت أن آخذ نرجيلتي، وهي دماغي الثاني، ولكن أخذت النريج، ونسيت النرجيلة.
تركنا الدار والثياب والأثاث والمكتبة والمؤونة، والبيانو العظيم الذي لا نجد له مثيلاً، والثلاجة الكهربائية الكبيرة، وفوق ذلك تركنا الأمانات الثمينة التي أرسلها إلينا أصحابها على اعتقاد منهم أن بيتنا ممتنع صعب، إذا تطاولت إليه الأعناق جُدّت، وهي تقدّر بألوف من الجنيهات.
لا أذكر تلك الساعة الهائلة، التي خرجنا فيها من الدار، والقنابل تتساقط حولنا، والرصاص يتطاير فوق رؤوسنا، إلاّ دققت يداً بيد، وقلت: "كيف نسينا أن نأخذ معنا كلّ ما في الخزانة من زجاجات؟! ألا تعست العجلة!!".

الوداع يا مكتبي! يا دار الحكمة، يا رواق الفلسفة، يا معهد العلم، يا ندوة الأدب! كم أحببت فيك الليالي الطوال: أقرأ وأكتب، واللّيل ساج، والناس نيام. ولا يهوّن من وجدي إلاّ أنني نقلت يومياتي، وهي كثيرة، تملأ ألوفاً من الصفحات، إلى مكان أمين. فقد كان من ديدني منذ الحداثة أن أكتب كلّ يوم ما يمرّ بي من أحوال، وما يعنّ بي من خواطر، وما توحيه إليّ مُطالعاتي، وما ألتقطه من مخالطة الرّجال ذوي العقول... كل هذه اليوميات عزيزة عليّ كأنها أفلاذ كبدي... .

الوداع يا كتبي التّفيسة، القيّمة، المختارة. أقول كتبي وأنا أعني أولاً: أنني لم أرثها عن الآباء والأجداد... وثانياً، أنني لم استعرها من الناس، ولكنها من إنشاء هذا العاجز الواقف أمامكم... مَنْ يُصدّق أن بعض الأطباء كانوا يستعيرون منّي بعض الكتب الطيّبة؛ لأن هذه الكتب لا توجد إلاّ في مكتبي... لم تعرض مشكلة في اللّغة في إحدى دوائر الحكومة إلاّ سألوني عنها؛ لأنهم يعرفون أن مظانّ هذه المشكلة لا توجد إلاّ في مكتبي، وقد أكون من العارفين بهذه المظان.

الوداع يا مكتبي! لست أدري ما حلّ بك بعد رحيلنا، أنتهبت، أحرقت، أنقلت معززة مكرمة إلى مكتبة عامة أو خاصة، أصرت إلى دكاكين البقالين يلفّ بأوراقك البصل!؟.



الوداع يا كتيبي! يعز عليّ أن أحرم منك، وأنا على أهبة الرحيل من هذه الدنيا. وهل يستطيع مَنْ كان مثلي على أهبة الرحيل، والبقية الباقية من عمره لا تزيد عن أربعين أو خمسين سنة!! أن ينشئ مكتبة جديدة؟

يعزّ عليّ أن أحرم منك، وقد كنت غداً الروحي، وكنت ولا أزال شرهاً إلى هذا الغداء. لقد كنت ألامك في ليالي ونهار، ولم يزرنني أحد في الليل، أو النهار إلاّ وجدني مكباً على كتيبي...". (18)
وقد كانت مكتبة خليل السكاكيني، بما تضمه من مقتنيات علمية متنوّعة، تشبه دار الحكمة في بغداد، أيام عزّها، وهي رواق فلسفة، ومعهد علم له ولزملائه. وقد كوّن المكتبة بنفسه، فهو لم يرثها عن أب أو جد، ولم يستعز أياً منها، بل كلّها اقتناها بنفسه، ووفق رغباته، واهتماماته، فتراوحت كتبها بين كتب الطب واللغة، وما بينهما من مسافة واسعة.

لقد بكى خليل السكاكيني مكتبته، بكاء الأم الثكلي؛ لأسباب عديدة منها أنه أنشأها على مدى سنوات عمره كتاباً كتاباً، وأنه كان يُفيد منها كلّ من يسأله عن مسألة فرداً أو جماعة، وأنه حرّمها وهو على أهبة الرحيل عن هذه الدنيا، وهي غداً الروحي، الذي افتقده مرغماً، ولا يستطيع إنشاء مكتبة بديلة، تسدّ شرهه لهذا الغداء الروحي، وأنه لم يعرف مصيرها أكان النهب، أم الحرق، أم النقل إلى مكتبة عامة أو خاصة. أم إلى أيدي الجهّال. وذلك الشيء الوحيد، الذي قد يخفّف من حزنه الشديد على مكتبته.

8- مكتبة عبدالله مخلص (المخلصية)

استطاع عبدالله مخلص في أثناء إقامته بفلسطين إنشاء مكتبة عامرة بالكتب، والمخطوطات، والوثائق، والآثار القيّمة عُرفت باسم "المخلصية"، وقد كوّنّها أولاً في عكا، حيث كانت مقرّ إقامته وعمله، ثمّ نقلها إلى حي الشيخ جراح بالقدس، حيث سكن فيه عندما تولى إدارة الأوقاف العامة المقدسية. كانت المكتبة المخلصية غنيّة بآلاف من الوثائق، والمخطوطات العربية والإسلامية بعامة، ومن التراث الفلسطيني بخاصة، فكانت الكتب الموجودة فيها ممّا يتعلّق بتراث فلسطين، لا تضاهيها فيه أية مكتبة أخرى. كما أنها حوت مؤلّفات عبدالله مخلص المتنوّعة، التي لم تنشر بعد، والقطع الأثرية،



التي جمعها خلال عشرات السنوات من مختلف المناطق الفلسطينية، وكان يُدوّن ملاحظاته عليها. (19)

وقد استطاع عبدالله مخلص نقل هذه المكتبة قبل انتهاء الاحتلال البريطاني لفلسطين إلى دير(راهبات القلب المقدس) القربان الكائن مقابل المستشفى الفرنسي سنة 1948م، وكانت تضم حينها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب منها (110) كتب مخطوطة. وقد قامت العصابات الصهيونية بنسف الدّير وتدميره في الحرب.

وهنا توجد روايتان حول مصير كتب المكتبة المخلصية؛ الأولى، تقول إنّ العصابات الصهيونية كانت تعرف بوجود المكتبة، فقامت بسرقتها، ونهبها قبل النسف، ثمّ نسفت الدّير لتغطية جريمتها، وهذه الرواية هي الصحيحة؛ لأنّ مقبولة بنت عبدالله مخلص ذكرتها وقالت: "إن ضابطاً أردنياً أخبرها أن اليهود قد نقلوا صناديق خشبية في سيارات نقل قبل نسف الدّير" (20)، وعليه يرجّح كامل العسلي أن كتب مكتبة عبدالله مخلص وصلت الجامعة العربية في القدس، وهذا ما يؤكده يعقوب العودات؛ إذ قال في المكتبة ومصيرها: "جمع مكتبة قليلة النّظير في فلسطين، ومعظمها في الكتب العربية الإسلامية، التي عني بها كبار المستشرقين... شعر بالخطر المحقق بمكتبته، فنقلها نجله السيّد صلاح مخلص، بطلب من والده إلى دير القربان، مقابل المستشفى الفرنسي بالقدس، لكن اليهود دكّوا هذا الدّير بقنابلهم منعاً للدّبابات العربية من الوصول إلى بناية البريد القديمة، فانهارت كنيسة الدّير، وغدت ركاماً، وبعد أن هدأت الحالة، وبسم الزمان لإسرائيل، أزاح اليهود تلك الأنقاض، وغنموا مكتبة مترعة بنفائس الكتب والمخطوطات". (21)

والرواية الثانية، تقول أن النّسف تمّ، فضاعت الكتب، فيما ضاع من تراث فلسطين الثقافيّ، ولم تثمر كلّ المحاولات التي بذلت لإنقاذ هذه المكتبة القيّمة.

ولا شك لديّ في أنّ هذه المحاولات دلّت العصابات على هذا الكنز الثمين، إن لم يكن يعرف ما في الدّير، فأصرّ على هدمه لتغطية جريمة السرقة. إذ قليلاً ما لجأ الاحتلال لنسف أديرة أو كنائس في القدس. (22)

9- مكتبة نقولا زيادة



كان نقولا زيادة مؤرخاً وأديباً ورحالة فلسطيني، درس في الكلية العربية بالقدس، ثم عمل بها بعد ذلك مدة، وأنشأ مكتبة غنية بالكتب، التي اقتناها في مجالات العلوم المتنوعة، فضلاً عما كانت تضمه من أوراق ووثائق، وصور خاصة به شخصياً، نهب من قبل العصابات الصهيونية، عندما احتلت منزله بالقدس عام 1948م.

وقد ذكر في مذكراته، بحسرة وحزن شديدين، بعض ما نهب من مكتبته بالقدس، ومن ذلك:

1- أوراق ووثائق خاصة منها الوصل الذي أخذه مدير ناحية القرداحة (بسوريا) الشيخ علي من ابن مختار القرية، ثم الذي أخذه ابن مختار القرداحة عند مرافقتها (نقولا زيادة وزميله درويش المقدادي) إلى قرية باينا مركز محافظة صلاح الدين (بسوريا) - سَمَّتها الحكومة السورية بعد الاستقلال بهذا الاسم، نسبة إلى قلعة صلاح الدين، وهي قلعة ضخمة تسيطر على شبكة الطرق، التي تصل الساحل السوري بالداخل، وكانت زمن حروب الفرنجة قلعة للحشاشين الباطنية مع قلعة مصيف. وكانت تعرف باسم قلعة صهيون - وقد أخذه المحافظ بعدما سلمهما إليه وفيه: "بتاريخه أدناه وصلني أنا مختار... الشخصين من فلسطين، درويش المقدادي، ونقولا زيادة، على أن أُسَلِّمهما لمحافظ صهيون في مركز باينا". (23)

وكان مما تم نهبه أيضاً، في هذه الأوراق الصور، التي كان التقطها نقولا زيادة في رحلته إلى الساحل السوري قال: "وجميع الصور المتعلقة بهذه الرحلة لما نهب بيتي في القدس سنة 1948م". (24)

2- لما كان نقولا زيادة كثير الرحلات، ومؤرخاً، كان يهتم بشراء الكتب التاريخية المهمة، ولا شك في أنه كان يشتري الكتاب القيم والمصدر. ومن تلك الكتب التي اشتراها في إحدى رحلاته كتاب عن تاريخ مدينة حماة السورية. وحافظ عليه في مكتبته بالقدس، لكن نصيبه كان التهب عام 1948م مع مقتنيات مكتبته القيمة وأثاث بيته قال: "وجدتُ كتاباً عن تاريخ حماة، حملته معي، وحافظت عليه إلى سنة 1948م، لما كان حظّه السلب، كما أصاب أوراقِي وكتبي، وأثاث بيتي". (24)

3- كان نقولا زيادة حريصاً على تدوين يومياته بدقة، فيسجلها يوماً بيوم في دفتر خاص، كما يدون فيه مشاعره، وعواطفه إزاء ما يمرّ به من أحداث، وقد نهب ذلك الدفتر، الذي كان سجل فيه مشاعره عندما رأى منظرًا طبيعياً أخاذاً، وذلك في نهاية رحلة قام بها من زحلة بلبنان إلى دمشق. قال: "أذكر



أنني دؤنت ليلتها لَمَا وصلنا دمشق بضعة سطور أصف بها شعوري، لكنّ الكلمات التي كتبها وقتها لا أذكرها، والدّفتر ضاع في القدس سنة 1948م، إلا أنّي لا أنسى الانطباع". (26)

ثانياً- مكّبات دوائر حكومة الاحتلال البريطاني

أنشأت حكومة الاحتلال البريطاني في القدس، مكّبات متخصّصة لعدد من دوائرها الرسميّة، واقتنت لها كتباً بالعربيّة والإنجليزيّة وغيرهما، ممّا يدخل في اختصاص كلّ دائرة، وذلك لمساعدة العاملين فيها على القيام بعملهم على خير وجه، ووفق قواعد علميّة إلى حدّ ما. كما أنّ تلك الدوائر كانت تمتلك أوراقاً ووثائق وإحصائيات وخرائط، ووسائل تعليميّة ومختبرات، ومعدّات كثيرة ومتنوّعة.

ومن الدوائر التي أنشأت فيها مكّبات دائرة الزراعة سنة (1920م)، ودائرة المعارف سنة (1920م)، ومحكمة العدل العليا سنة (1925م)، ودائرة الإحصاءات سنة (1936م)، ودار الإذاعة سنة (1936م)، ودائرة المطبوعات سنة (1944م).

عندما احتل أفراد العصابات الصهيونيّة الأحياء العربيّة في غربيّ القدس، قاموا بسرقة ونهب مكّبات الدوائر الحكوميّة الموجودة في تلك الأحياء، وألحقوها بالدوائر التي أقامتها حكومة الاحتلال الإسرائيليّة، وبذلك يكون أساس دوائر حكومة الاحتلال الإسرائيلي قائماً على النّهب والسّلب. (27)

ثالثاً- مكّبات المساجد

كانت المساجد أوّل مدرسة في الإسلام، وقد لعب المسجد دوراً مهمّاً في تعليم المسلمين طوال القرون الثلاثة الأولى في عمر الحضارة الإسلاميّة، إلى أن وجدت المدرسة في بداية القرن الرابع الهجري، ثمّ وجدت بشكل منظم على يد الوزير السلجوقي نظام الملك (ت485هـ) في منتصف القرن الخامس الهجري. لكنّ المسجد لم يفقد دوره في إثراء الحياة العلميّة في العالم الإسلامي، بل استمرّ مدّة طويلة من الزمن، ولا زالت كثير من المساجد تقوم بدور علمي بارز في إثراء الثقافة العربيّة



الإسلامية، بل وفي تعليم الناشئة، حيث استطاع عدد منها أن يحتضن جامعة متكاملة كما هو الحال في الجامع الأزهر، الذي لا زال يؤدي دوره العلمي منذ ما يزيد على الألف سنة. وكانت تنتشر عشرات المساجد في الأحياء العربية في غربي القدس، وهذه ولا شك في ذلك كان كل منها يمتلك خزانة كتب متناسب ومساحة المسجد، وعدد المصلين الذين يؤمنون. وتلك الخزانات كانت عامرة بنسخ من القرآن الكريم وتفسيره، وكتب الحديث الشريف وشروحه، فضلاً عن كتب اللغة والأدب، والتاريخ وغيرها من الكتب التي تهدي لمكتبة المسجد من المؤلفين أنفسهم، أو من مكاتب بعض ممن يتوفاهم الله ولا يهتم ورثتهم ببعض مقتنيات مكباتهم أو كلها. وعندما احتلت العصابات الصهيونية الأحياء العربية في غرب القدس ربيع 1948م، قامت بتدمير، ونسف الغالبية العظمى من المساجد، وتحويل ما تبقى إلى استخدامات متنوعة للمستوطنين اليهود. ولا شك لدي في أن أفراد تلك العصابات، فضلاً عن العاملين في مكتبة الجامعة العبرية الذين رافقوا أفراد تلك العصابات، قد قاموا بنهب وسلب ما استطاعوا من مقتنيات هذه المساجد، وما رأوا فيه قيمة ثقافية وتراثية، ثم أحرقوا أو أتلفوا ما لم يرقهم منها.

رابعاً- مكاتب الكنائس والأديرة

تضم الأحياء العربية في غرب القدس كثيراً من الكنائس والأديرة، وأغلبها كان يعود إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ذلك أن النصارى العرب، وغيرهم كانوا وما زالوا يعيشون جنباً إلى جنب مع المسلمين العرب في فلسطين، ولا شك في أن هذه الكنائس والأديرة كانت تحتوي مكاتب خاصة بها، فضلاً عن خزائن كتب خاصة برجال الدين الذين كانوا يعمرونها. وقد دمرت العصابات الصهيونية بعض هذه الكنائس والأديرة، كما أن أفرادها اقتحموا أماكن العبادة تلك، واستولوا على ما وجدوه فيها من غنائم متنوعة ومنها الكتب.

لم أعر في المصادر التي عُدت إليها على حالات محددة من نهب مكاتب في هذه الكنائس والأديرة، لكن ما حدث مع مكتبة عبدالله مخلص (المخلصية)، التي وضعها وديعة في دير راهبات القلب المقدس (القربان) يدفعني للجزم بأن السيارات اليهودية، والتي تحدت عنها الضابط الأردني



لمقبولة بنت عبدالله مخلص، والتي كانت تنقل صناديق خشبية من الدّير قبل نفسه، بأن هذه السيارات لم تنقل مكتبة عبدالله مخلص والقطع الأثرية التي كانت لديه فقط، بل نقلت مكتبة الدّير، وخزائن كتب الرهبان والقساوسة الخاصة. إذ ما كانَ عبدالله مخلص ليضع مكتبته في عُهدة دير ورهبان وقساوسة لم يكن فيه مكتبة، ولم يكن لديهم كتب، وبالتالي فهم قدّروا قيمة الكتب، فسعوا لحمايتها وحفظها من السرقة والنهب عندما قبلوا أن يحفظوها في ديرهم، لا بل في مكتبة ديرهم.

خامساً- مكتبات المؤسسات التعليمية

ضمت القرى والأحياء الغربية بالقدس، عدداً لا بأس به من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية. وكان لكل مدرسة من هذه المدارس مكتبة عامة، تضم كتباً ومجلات وجرائد ووثائق وخرائط متنوعة، وكانت مقتنيات كل مكتبة تتناسب وحجم المدرسة وعدد الطلبة فيها.

واستناداً لما أورده عبداللطيف الطيباوي عن أوضاع المكتبات المدرسية في أواخر الاحتلال البريطاني لفلسطين، فإن متوسط عدد الكتب في مدرسة القرية كان (200) كتاب، وفي المدرسة الابتدائية الكاملة (600) كتاب، وفي المدرسة الثانوية (1200) كتاب. (28)

ولا شك في أن أفراد العصابات الصهيونية الذين اقتحموا تلك المؤسسات التعليمية، فضلاً عن غيرهم من المستوطنين، قد سرقوا ونهبوا مقتنيات هذه المكتبات جميعها.

أسست الكلية العربية في القدس عام 1918م، وافتتحت رسمياً في 1919/10/28م، وقد حُطّط لها أن تكون أول كلية جامعية فلسطينية، وأقيم لها مبنى جميل ضخم على أرض مساحتها (47) دونماً في منطقة الطالبية، على السفح الجنوبي الغربي لجبل المكبر، وكانت الكلية تضم مكتبة ضخمة، تحتوي على كتب قيمة في مختلف فروع العلم، وقد كانَ عدد الكتب فيها سنة 1946م يزيد على (7122) كتاباً، وبذلك عدّها مصطفى الدّباغ أكبر المكتبات الأكاديمية في القدس الشريف. (29)

وبالرغم مما قيل عن نقل كتب مكتبة الكلية العربية إلى المدرسة الرشيدية في باب الزاهرة، إلا أن السيد فهمي الأنصاري أفادني أن الصّواب هو أن السيّد "أبو أحمد هرماس" من مدينة حلحول قرب



مدينة خليل الرحمن، الذي كان يعمل في مكتب المعارف، نقل ما استطاع من كتب المكتبة في سيارة (بكب) إلى مكتبة المدرسة الرشيدية بإذن من مديرها السيد جودت القباني، واستمرت الكتب المنقولة في المدرسة الرشيدية إلى سنة 1961م، حيث نُقل القباني ونقل أفضل الكتب في نظره إلى دار المعلمين في عمان، فأخذ ما استطاع من كتب الكلية العربية معه. (30)

وبذلك يتضح أن كتباً كثيرة من مكتبة الكلية العربية، فضلاً عن المجلات والجرائد، وكتب الطلبة والمعلمين، الذين كانوا يسكنون في السكن الداخلي في الكلية، وقعت ضحية النهب والسلب، الذي مارسه أفراد العصابات الصهيونية الذين احتلوا مبنى الكلية.

الخاتمة

بعد أن أنهيت كتابة هذه الورقة العلمية المختصرة أستطيع القول أنني توصلت إلى نتائج وتوصيات عديدة، أهمها:

أولاً- النتائج

- 1- إن عملية السرقة والنهب التي حدثت للكتب الفلسطينية مهما كان مصدرها، وسواء أكان من الأفراد أم العامة أم العائلات، أم المساجد أم الكنائس والأديرة، أم غيرها بحاجة إلى دراسة جادة تعتمد ما قاله أو يمكن أن يقوله أصحابها، واستقصاء الأرشيفات الخاصة بذلك، بهدف بيان حقيقة عملية الهدم الثقافي الذي تعرّضت له فلسطين، التي لا تقل عن هدم المجتمع والدولة وسرقة الأرض والمنزل.
- 2- إن ما حدث للكتب دليل على أن ذلك حدث للأثار والتراث والفلكلور، وأدوات الزراعة والمنازل والصناعة، والوثائق والأوراق الشخصية والخرائط، وكلّ متعلّقات الشعب الفلسطيني، وهذه كلّها بحاجة إلى استقصاء ودراسة علمية.
- 3- إن كثيراً من المخطوطات العربية غير المحقّقة في فروع العلم المختلفة، والمخطوطات المحقّقة التي أعدها محققوها للنشر زمن النكبة، أو التي كانت قيد التحقيق، والمؤلفات المخطوطة



التي أعدها العلماء الفلسطينيون في مجالات علمية متنوّعة، وكانت جاهزة للنشر، أو شبه جاهزة قد سرقت ونهبت من قبل الإسرائيليين زمن النكبة، وهذه وحدها بحاجة إلى بحث مستقل، أرجح أن يقود إلى نتائج مهمّة جداً، وقد تؤديّ إلى سحب شهادات ومؤلفات ممّن ادّعوا من الإسرائيليين.

4- إنّ ما سبق يعزّ على أصحابه كما فلذات الأكباد، وليس أدلّ على ذلك مما باح به خليل السكاكيني يناجي مكتبته أمام العامة في القاهرة بعد شهر من افتقادها، قال: "الوداع يا كتيبي! لست أدري ما حلّ بك بعد رحيلنا، أنتهبت، أحرقت، أنقلت مُعزّزة مكرّمة إلى مكتبة عامة أو خاصة... يعزّ عليّ أن أحرم منك، وقد كنتُ غذائي الرّوحي، وكنتُ، ولا أزال شرها إلى هذا الغداء".

5- إنّ عملية سرقة الكتب والوثائق والمخطوطات الفلسطينية، بل سرقة الثقافة الفلسطينية بمكوناتها كلها ما زالت مستمرة منذ النكبة، وحتى يومنا هذا، وهي لن تتوقف إلا بدحر الاحتلال عن أرض فلسطين. وليس أدلّ على ذلك من وجود كتاب الدكتور عادل أبو عمشة الذي أهدها لمكتبة مسجد قرية سالم في محافظة نابلس، فسرقه جنود الاحتلال ونقلوه إلى مكتبة الجامعة العبرية بالقدس، كما أن جنود الاحتلال يسرقون كتباً ووثائق ومخطوطات، وأجهزة حاسوب بكل ما تحمله من مواد ثقافية ووسائل تخزين المعلومات الإلكترونيّة كثيرة، عند اقتحامهم المنازل والمؤسسات الرسميّة والخاصة والمساجد والمدارس والجامعات بشكل يومي.

ثانياً- التوصيات

1- لا بد من تجاوز مرحلة الكلام وإثارة أسئلة لا معنى لها حول كيف تمت السرقة، ومن السارق، وهل علمت الحكومة الصهيونية وقادة جيشها أم لا؟، وصناعة الأفلام، والبكاء، ومظاهر التضامن، وإظهار كل مظاهر العطف مع فلسطين، وأهلها إلى البدء بالعمل وذلك التجاوز يجب أن يكون فلسطينياً، وعربياً، وإسلامياً، وعالمياً.

2- أولى خطوات بدء العمل تكون بتأسيس جمعية غير ربحية من ذوي الشأن، يكون لها تمويل وقفي قادر على تحقيق أهدافه، وتبدأ العمل من أجل استرجاع هذا الموروث الثقافي والتراثي والفلكلوري، الذي يكمل في أهميته الأرض الفلسطينية، والإنسان الفلسطيني، بطريقة قانونية، ومن



خلال طرق كل السبل والمحافل الدولية اللازمة بدءاً من اليونسكو وانتهاء بأي وسيلة مناسبة. وذلك في مكتبة وطنية شاملة، تكون ذاكرة الشعب الفلسطيني في أرضه.

الهوامش

((العودات، من أعلام الفكر، ص80.

((وليد الخالدي، المكتبة الخالدية، ص82.

((الأنصاري، مكالمة هاتفية. أفادني فيها أن أبا أحمد هرماس نقل ما استطاع من مكتبة الكلية العربية في سيارة شحن، فكانت كتب تسقط منه على أرض المكتبة نفسها، وفي الممر من المكتبة إلى سيارة النقل أمام مبنى الكلية العربية، وفي الطريق من مبنى الكلية العربية إلى مبنى المدرسة الرشيدية.

((وليد الخالدي، المكتبة الخالدية، ص82.

((خيرية قاسمية، المذكرات والسير: الموسوعة الفلسطينية، قسم2م3ص849.

((العودات، من أعلام الفكر، ص116؛ العسلي، المكتبات: الموسوعة الفلسطينية، قسم2م3ص296، 306؛ محمد حمادة، من أعلام فلسطين، ص259.

((العودات، من أعلام الفكر، ص626.

((العودات، من أعلام الفكر، ص627.

((الناشف، توفيق كنعان، ص57.

((الناشف، توفيق كنعان، ص81.

((الناشف، توفيق كنعان، ص88.

(12) العسلي، المكتبات: الموسوعة الفلسطينية، قسم2م3ص306؛ جريدة الدستور، عمان، يوم

الأحد 2012/5/20.

(13) العودات، من أعلام الفكر، ص68.



- (14) العودات، من أعلام الفكر، ص 70.
- (15) خيرية قاسمية، المذكرات والسير: الموسوعة الفلسطينية، قسم 2م3، ص 827.
- (16) السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ص 387-390.
- (17) السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ص 392.
- (18) السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ص 391-394.
- (19) ياغي، أكتب عن عبدالله مخلص، ص 118.
- (20) العسلي، تراث فلسطين، ص 20.
- (21) العودات، من أعلام الفكر، ص 575.
- (22) العسلي، المكتبات: الموسوعة الفلسطينية، قسم 2م3 ص 306؛ تراث فلسطين، ص 20؛ ياغي، أكتب عن عبدالله مخلص، ص 118.
- (23) الجراح، حول العالم في 76 عامًا، ص 112-113.
- (24) الجراح، حول العالم في 76 عامًا، ص 166.
- (25) الجراح، حول العالم في 76 عامًا، ص 132.
- (26) الجراح، حول العالم في 76 عامًا، ص 136.
- (27) العارف، المفصل، ص 450؛ العسلي، المكتبات: الموسوعة الفلسطينية، قسم 2م3 ص 295.
- (28) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 4 قسم 2 ص 234.
- (29) الأنصاري، مكالمة هاتفية.

* نُشرت هذه الدراسة في مجلة "شؤون فلسطينية" - العدد 260